أحمد بن أبي الحواري

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[8]

أحمد بن أبي
الحواري

أحمد بن أبي الحواري

هو: عبد الله بن ميمون.

يكنى: أبا الحسن، واسم أبي الحواري: ميمون.

زوج رابعة بنت إسماعيل - تشارك رابعة العدوية هذه في اسمها واسم أبيها، **ورابعة زوج أحمد بن الحواري شامية، وأما رابعة العدوية فبصرية -.**

تلميذ أبي سليمان الداراني - عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي -.

سكن دمشق.

وكان له ابن يُقال له: عبد الله، من الزهاد، وأخ يُقال له: محمد، يشبهه في الورع والزهد، وأبوه أبو الحواري من أهل الورع أيضًا، **فبيتهم بيت الورع والزهد.**

اسألنست بغيري:

قال أحمد بن أبي الحواري:

تعبَّد رجل من بنى إسرائيل في غيضة من جزيرة البحر أربعمائة سنة حتى طال شعره فإذا مر بالغيضة تعلق بعض أغصانها بشعره، وذات يوم بينما هو يدور؛ إذ هو بشجرة منها، فيها وكر طير، فحول موضع مصلاة إلى قريب من وكر الطير.

فقيل له:

- اسألنست بغيرى؟ وعزتي لأحطنك مما كنت فيه درجتين.

الخليل وخليله:

قال أبو الحسن:

لما أراد الله - عز وجل - قبض إبراهيم - عليه السلام -، هبط إليه ملك الموت، فقال له إبراهيم - عليه السلام -:

- رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟

فعرج ملك الملك إلى ربه، ثم عاد إليه، فقال له:

- يا إبراهيم: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟

فقال إبراهيم - عليه السلام - لملك الموت:

- اقبض روحي الساعة.

زعيم أهل النار:

قال أحمد بن أبي الحواري:

لما كلَّم الله عز وجل موسى - عليه السلام - قال:

- يا رب: إن اللعين - إبليس - يوسوس إليَّ أن الذي يكلمني غيرك.

فأوحى الله إليه:

- يا موسى: ارفع رأسك.

فرفع رأسه فإذا بالسماء قد كشطت، وإذا بالعرش بارز، وإذا الملائكة قيام في الهواء.

فلما سمع موسى - عليه السلام - كلام الله عز وجل مقت كلام الآدميين.

هل وجدت دارًا خير من داري؟

قال عبد الله بن ميمون:

شبع يحيى بن زكريا من خبز شعير شبعة، فنام - تلك الليلة ولم يقم الليل - عن حزبه فأوحى الله عز وجل إليه:

- يا يحيى: هل وجدت دارًا خيرًا من دار ي؟ أو جوارًا خيرًا من جواري؟

يا يحيى: لو اطلعت في الفردوس لذاب جسمك ورهقت نف سك اشتياقًا، ولو اطلعت إلى جهنم للبست الحديد بعد المسوح، ولبكيت الصديد بعد الدموع.

طريق النجاة:

ذات يوم بينما كان أبو الحسن في بلاد الشام في قب ة من قباب المقابر ليس عليها باب إلا كساء قد أسبله، فإذا هو بامرأة تدق على الحائط فقال:

- من هذا؟

قالت:

- امرأة ضالة دلني على الطريق - رحمك الله -.

قال أحمد بن أبي الحواري:

- رحمك الله على أي الطريق تسألين؟

فبكت ثم قالت:

- يا أحمد: على **طريق النجاة**.

قال أبو الحسن:

- هيهات إن بيننا وبين طريق النجاه عقابًا وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة، وحذ ف العلائق الشاغلة عن أمر الدنيا والآخرة.

فبكت المرأة بكاءً شديدًا ثم قالت:

- يا أحمد: سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع.

ثم خرت مغشيًا عليها، فقال عبد الله بن ميمون لبعض النساء:

- انظري أي شيء حال هذه الجارية؟

فقمن إليها ففتشنها فإذا وصيتها في جيبها:

كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعدًا لنفسي.

قال أحمد بن أبي الحواري:

- ما هى؟

فحركوها فإذا هي ميتة.

فقال أبو الحسن للخدم:

- لمن هذه الجارية؟

قالت النسوة:

- جارية قرشية مصابة وكان الذي معها يمنعها من الطعام، وكانت تشكو إلينا وجعًا بجوفها فكنا نصفها لمتطببي الشام.

فكانت تقول:

خلوا بيني وبين الطبيب الراهب - تعنى أحمد - أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي لعل أن يكون عنده شفائي.

الأنس بالله:

قال أحمد بن أبي الحواري:

انقطع إلى الله وكن عابدًا زاهدًا صادقًا متوكلاً مستقيمًا عارفًا ذاكرًا مؤنسًا مستحيًا خائفًا راجيًا راضيًا.

وعلامة الرضا: أن لا يختار شيئًا إلا ما يختاره له مولاه، فإذا كان ذلك كذلك كان له من الله عونًا حتى يرده إلى طاعته ظاهرً ا أو باطنًا، **ولا يكون العبد تائبًا حتى يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويرد المظالم فيما بينه وبين الناس، ويجتهد في العبادة ثم يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد،** ثم يتشعب له من الزهد الصدق، ثم يتشعب له من الصدق التوكل، ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة، ثم يتشعب له من الاستقامة المعرفة، ثم يتشعب له من المعرفة الذكر، ثم يتشعب له من الذكر الحلاوة والتلذذ، ثم بعد التلذذ الأنس، ثم بعد الأنس بالله الحياء، ثم بعد الحياء الخوف.

وعلامة الخوف: الاستعداد والتحويل من هذه الأحوال، لا يفارق خوف تحويل هذه الأحوال من قلبه دون لقائه.

في سفر التوراة الرابع:

قال أبو الحسن:

قرأت في سفر التوراة الرابع: أن الله تعالى يقول:

أنا الله لا إله إلا أنا، عيني على كل شيء، أرى النمل في الصفا، وأرى وقع الطير في الهوى.

وأعلم ما في القلب والكلى.

وأعطي العبد على ما نوى.

أي شيء يقال لمثلى ومثلك؟

وقرأ أبو الحسن في بعض الكتب: أن الله عز وجل أوحى إلى موسى وعيسى - عليهما السلام -: يا موسى ويا عيسى: من أجل دنيا دنيئة وشهوة رديئة تفرطان في طلب الآخرة؟

يا موسى ويا عيسى: حتى متى أطيل النسيئة وأحسن الطلب؟

النسيئة: أنسأ أجله: أي: أخره، ينسأ: يوخر.

ولما حدث أحمد بن أبي الحواري أستاذه أبا سليمان الداراني قال:

إذا كان موسى وعيسى - عليهما السلام - معاتبين فأي شيء يقال لمثلي ومثلك؟ وأى شيء أصابا من الدنيا؟ جبه صوف وكسرة خبز.

أرواح المؤمنين:

قال أحمد بن أبي الحواري:

لقى هرم بن حيان أوس بن عامر القرني فقال:

- السلام عليك يا أويس بن عامر!

قال أويس القرني:

- وعليك يا هرم بن حيان، أما أنا فعرفتك بالصفة فكيف عرفتني؟

قال هرم بن حيان:

- عرفت روح ي روحك لأن أرواح الم ؤمنين تشام كما تشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

قال أويس بن عامر:

- إنى أحبك في الله.

قال هرم بن حيان:

- ما ظننت أن أحدًا يحب في غير الله.

قال أويس القرني:

- أريد أن أستأنس بك.

قال هرم بن حيان:

- ما ظننت أن أحدًا يستوحش مع الله.

قال أويس بن عامر:

- أوصني.

قال هرم بن حيان:

عليك بالأسياف - سواحل البحر -.

قال أويس بن عامر القرني:

- فمن أين المعاش؟

قال هرم بن حيان:

- أف أف، خالط الشك الموعظة، تفر إلى الله بدينك وتتهمه في رزقك؟

ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إليَّ:

التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحواري، فقال أحمد بن حنبل:

- يا أبا الحسن: حدِّثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان الدارني.

فقال أحمد بن أبى الحواري:

- سبحان الله بلا عجب.

قال أحمد بن حنبل:

- سبحان الله - وطولها - بلا عجب.

فقال أبو الحسن:

سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتقدت النفوس في ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علمًا.

فقام أحمد بن حنبل ثلاثًا، وجلس ثلاثًا وقال:

- ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إليَّ.

مِمَ تَبْكِي؟

قال أحمد بن أبي الحواري:

دخلت على أبي سليمان الدارني وهو يبكي فقلت:

- مايبكيك؟

قال أبو سليمان:

كنت البارح ة أصلي فحملتني عينا ي فنمت فإذا أنا بحوراء قد خرجت عليَّ من محرابي بيدها رقعه فقالت:

يا أبا سليمان: تحسن تقرأ؟

فقلت: نعم.

فقالت: اقرأ هذه الرقعة.

ففككتها فإذا فيها:

ألهتك لذ ة نومة عن خير عيش ... مع الغنجات في غرف الجنان
تعيش مخلدً ا لا موت فيها ... وتنعم في الجنان مع الح سان
تيقظ م ن منامك إن خيرًا ... من النوم التهجد بالقرآن

وقيل:

دخل أبو الحسن على عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي وهو يبكي فقال له:

- مم تبكي.

قال أبو سليمان:

ويحك يا أحمد! كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جن الليل وهدأت العيون وخلا كل خليل بخليله واستنارت قلوب العارفين وتلذذت بذكر ربهم وارتفعت هِمَمِهم إلى ذي العر ش وافتوش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته ورددوا كلامه بأصوات محز ونة جرت

دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاربهم حزنًا واشتياقًا، فـأشرف عليهم الجليل ﷻ فنظر إليهم فلمدهم محبة وسرورًا.

فقال لهم:

- أحبابي والعارفين بي: اشتغلوا بي وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري، **أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقربة يوم تلقوني.**

فينادى الله جبريل:

- يا جبريل: بعيني من تلذذ بكلام ي واستراح إليَّ وأناخ بفنائي، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وبكاءهم، وأرى تقلبهم واجتهادهم، فناد فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء الذي أسمع، وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟ هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيبًا يعذب أحباءه؟ أو ما علمتم أنى كريم فكيف لا أرض ى؟ أيشبه كرمي أن أرد قومًا قصدوني؟ أم كيف أذل قومًا تعز زوا بي؟ أم كيف يشبه رحمتي أو كيف يمكن أن أبيت قومًا تلقوا إل يَّ وقوفًا على أقدامهم وعند البيات أخزهم؟ أو كيف يجمل بي أن أعذب قومًا إذا جنَّهم الليل تملقوني، وكيفما كانوا انقطعوا إليَّ واستراحوا إلى ذكر ي وخافوا عذابي وطلبوا القربة عندي فبي حلفت لأرفعن الوحشة عن قلوبهم ولأكونن أنيسهم إلى أن يلقوني، فإذا قدموا عليَّ يوم القيامة، فإن أول هديتي إليهم: أن **أكشف لهم عن وجه ي حتى ينظرون إل يَّ وأنظر إليهم، ثم لهم عندي ما لا يعلمه غيري.**

يا أحمد: إن فاتنى ما ذكرت لك فيحق لي أن أبك ي دمًا بعد الدموع!

يقول أحمد بن أبي الحواري:

- فلخذت معه بالبكاء.

أحمد بن أبي الحواري وزوجته رابعة:

قال أبو الحسن:

كانت لرابعه أحوال شتى، فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأُنس، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها تقول **في حال الحب:**

حبيب ليس يعدله حبيب ... ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى ... ولكن عن فؤادي ما يغيب

وسمعتها **في حال الأنس** تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤنس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها **في حال الخوف** تقول:

وزادني قليل ما أراه مبلغي ... أَلزَاد أبكي أم لطول مسافتي؟
أتحرقني بالنار يا غايه المنى ... فلَأين رجائي فيك؟ أين محبَّتِي؟

ويقول أبو الحسن:

سمعت رابعة تقول: إنى لأضن - أبخل - باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي وإني لأرى ذراعي قد سمن فلحزن.

وسال أحمد بن أبي الحواري امرأته رابعة بنت إسماعيل يومًا:

- أصائمة أنت اليوم؟

فتقول:

- ما مثلى يفطر.

وقال أبو الحسن:

سمعت رابعة تقول:

ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف، ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر.

قالوا عن أحمد بن أبي الحواري:

* قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

أحمد بن أبي الحواري **ريحانة الشام**.

* وقال يحيى بن معين لما ذكر أحمد بن أبى الحواري:

أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به.

* وقال محمود بن خالد:

ما أظنه بقى على وجه الأرض مثله.

أحمد بن أبي الحوارى وأحادث رسول الله ﷺ :

أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم:

* قال أبو على الحسن بن على بن الخطاب الوراق عن محمد بن سليمان عن أحمد ابن أبي الحواري عن حفص بن غياث عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي بن أبي طالب قال:

قال رسول الله ﷺ :**شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا** يوم الأحزاب أو يوم الخندق ، (رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن خزيمة).

* قال علي بن هارون عن أبي بكر بن أبي داود عن أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث عن الحجاج عن مكحول عن أبي إدريس عن أبى ثعلبة الحشني قال:

قلنا: يا رسول الله! نجد آنية المشركين.

قال عليه الصلاة والسلام:

♂**اغسلوها واطبخوا فيها**ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال محمد بن على عن عبد الله بن أحمد بن عتاب وأحمد بن الحسين بن طلاب الدمشقيان، قالا: ثنا أحمد بن أبى الحواري عن معاوية عن هشام بن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو: قال:

* قال رسول الله ﷺ :♂ **إنَّ الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض العلماء، فإذا ذهب العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخد الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فلفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** ـــ (أخرجه مسلم كتاب العلم، والأمام أحمد، وابن ماجه، عن ابن عمرو).

* قال أحمد بن القاسم المقرى عن جعفر بن محمد الدم شرقي عن أحمد بن أبي الحواري عن عبد الله بن إدر يس عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن جده عن أبى هريرة، قال:

قال رسول الله ﷺ :♂ **إنكم لا تسعون الناس ب أموالكم، ولكن يسعهم منكم ب سط الوجه وحُسْن الخلق** ـــ (رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة).

* وقال عبد الله بن محمد بن جعفر عن إسحاق بن أبى حسان عن أحمد بن أبي الحواري عن أبي خزيمة بكار بن شعيب عن أبي حا زم عن أبيه عن سهل بن سعد قال:

قال رسول الله ﷺ :♂**لا تصحب أحدًا لا يرى لك من الفضل كمثل ما ترى له**ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية، عن سهل بن سعد).

* قال أحمد بن أبي الحواري، عن وكيع بن الجراح عن خالد بن مرة عن معاوية بن قرة، عن أبى هريرة، قال:

قال النبي ﷺ: **من لم يو تر فليس منا** (رواه الإمام أحمد، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة).

* وقال محمد بن عمر بن إسحاق عن عبد الله بن أبي داود عن محمد بن إبراهيم عن أحمد بن الحسين بن طلاب عن أحمد بن أبى الحواري عن مروان بن محمد عن سليمان بن بلال عن ه شام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

قال رسول الله ﷺ: **بيت لا تمر فيه جياع أهله** (رواه الإمام أحمد، وأخرجه: مسلم كتاب الاشربة، باب إدخال التمر أبو داود في سننه، والترمذي، عن عائشة).

أحمد بن أبى الحواري والقرآن العظيم:

قال أبو الحسن:

إنى لأقرأ القرآن فأنظر في آية فيحار عقلي فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟ أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به؟ لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا.

وكان أحمد بن أبي الحواري إذا قرأ: {أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ} [سورة الجاثية الآية: ٢٣].

مررت براهب فوجدته نحيفًا فقلت له:

- أنت عليل؟

قال:

- نعم.

قلت:

- مذ كم؟

قال:

- مذ عرفت نفسي.

قلت:

- فتداوي.

قال:

- أعياني الدواء، وقد عزمت على اللئي.

قلت:

- وما اللئي؟

قال:

- **مخالفة الهوى.**

وقرأ أبو الحسن قوله تعالى: { وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠} [سورة الشورى الآية: ٣٠].

فسأل أبا سليمان الداراني:

- ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟

قال أبو سليمان الداراني:

- **لأنهم علموا أن الله تعالى إنَّما ابتلاهم بذنوبهم.**

من أقوال أحمد بن أبي الحواري:

كان أبو الحسن يقول:

* من كانت نيته في العافية ملأ الله حضنه العافية.

* من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه.

* لا دليل على الله سواه، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة.

* من عرف الدنيا **زهد فيها**، ومن عرف الآخرة **رغب فيها** ومن عرف الله آثر رضاه، ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور.

* إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة وإذا حدثتك نفسك بتركها عند إقبالها فذاك.

* سبحان من لا يمنعه عظيم سلطانه أن ينظر في صغير سلطانه.

* من كانت همته في أداء الفرائض لم يكمل له في الدنيا لذَّة.

* قال الله تعالى:♂ **لو أن ابن آدم لم يرج غيري ما وكلته إلى غيري، ولو أن ابن آدم لم يخف غيري ما أخفته من غيري**ـــ.

* خف الله يلهمك واعمل له لا يلجئك إلى دليل.

* قيل لموسى - عليه السلام -: يا موسى: إنما مثل كتاب أحمد ﷺ في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن **كلما مخضته أخرجت زبدته**.

* إذا دخلت القبر ومعك الإسلام فلأبشر.

قنعت بعلم الله ذخري وواحدي ... بمكتوم أسرار تضمنها قلبي
فلو جار ستر الستر بيني وبينه ... إلى القلب والأحشاء لم يعلمها سري

* إن الله إذا أحب قومًا أفادهم في اليقظة والمنام.

* الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب، وأقل من الكلاب من عكف عليها، فإن الكلب يأخذ منها - المزبلة - حاجته وينصرف، والمحب لها - الدنيا - لا يزايلها - لا يتركها - بحال.

* من أحب أن يُعرف بشيء من الخير أو يذكر به، فقد أشرك في عبادته؛ لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدوميه.

* كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

وفاة أحمد بن أبي الحواري:

توفى أبو الحسن سنة ثلاثين ومائتين للهجرة.

* * *